الدرس السابع عشر

"إعلانات صور الإلهية" في حزقيال

حزقيال 26–28

1. المشكلة التفسيرية

تتناول الإصحاحات 26–28 من حزقيال الإعلان الإلهي ضد صور، وهي تأتي في سياق الأصحاحات 25–32 في ما يشار إليه غالباً بـ "إعلانات الدمار الإلهية" أو "إعلانات الدينونة الإلهية." وفي هذه السلسلة من الإعلانات الإلهية يعلن الله الدينونة على عدة شعوب مجاورة لإسرائيل. وهو يتناول مدينة صور بشكل مطوّل (26–28). ويخص الأصحاح الختامي لهذا الموضوع (الأصحاح 28) قادة صور بإدانة خاصة. ويحظى ذلك المدعو بـ "ملك صور" في 28: 11–19 باهتمام خاص بسبب الأشياء فوق البشرية التي تقال عنه. وقد قدم مفسرون مختلفون عدة آراء حول ملك صور: (1) يوصف حزقيال هنا ملكاً بشرياً على صور كان ممثلاً (كروب حارس) للإله الراعي لصور، ميكارت؛[1] (2) يتحدث حزقيال هنا عن "الإله" الوثني الذي يقف وراء ملك صور والذي يمده بالقوة (وربما يكون البعل)؛ (3) يتحدث حزقيال عن ملك صور، أَثبعل بلغةٍ مغرقة في الشعرية، مشبهاً إياهُ بآدم (وهذا هو ما يذهب إليه ميريل[2])؛ (4) يشير حزقيال هنا إلى إبليس (ويتبنى هذا الرأي عدة مفسرين محافظين بمن فيهم شيفر وفينبرج ورايري). ويعترف معظمهم أن هذه الفقرة من أكثر فقرات العهد القديم صعوبة في التفسير. ومما يفاقم المشكلة أن هذا الشخص لا يُعطى اسماً في النص أبداً. غير أن هذا ليس سؤالاً لا أهمية عملية له، لأن الجواب الذي نعطيه له تأثير على فهمنا اللاهوتي للشيطان. وهكذا يبقى التحدي أمامنا ما يلي: هل يمكن أن يشير "ملك صور" هذا إلى الشيطان؟ وإن كان الأمر كذلك، فما هو الأسلوب التفسيري المتبع للوصول إلى هذا الاستنتاج أو الفهم؟

---

[1] Ralph H. Alexander, "Ezekiel," in *The Expositor's Bible Commentary*, Vol.6 (Grand Rapids, MI: Zondervan Pub House, 1986), 883.

[2] يتبنى ميريل، على سبيل المثال، الرأي الذي يقول إن النص يشير إلى آدم. يقول:"تزخر لغة هذه المرثاة بإشارات إلى مواضيع بدائية، مثل "عدن، جنة الله" (الآيات 13)، و"الكروب الحارس" (الآيات 14)، والطرد من "جبل الله" (الآيات 16)، حتى إنه يصعب على القارئ أن لا يرى سقوط الجنس البشري الكامن وراء سقوط رئيس صور. ومن المحتمل أن هذا هو القصد من الإعلان الإلهي، لأن كلّ إثم، سواء صدر عن حاكم أم إنسان عادي، يجد مصدره في نهاية المطاف هو آدم، "الكروب الممسوح" الذي سقط بسبب كبريائه" (Eugene Merril, "A Theology of Ezekiel and Daniel," in *A Biblical Theology of the Old Testament*, ed. Roy B. Zuck [Chicago: Moody Press, 1991], 384). CF. J. Barton Payne, *The Theology of the Older Testament* (Grand Rapids, MI: Zondervan , 1962), 294-95.

2. خلفية حزقيال

إن مراجعتنا للأساس التاريخي للسفر أمرٌ هامٌ جداً لفهمنا لفكر الكاتب. يدور السفر حول السبي البابلي عام 586 ق م ومسألة مجد الله فيما يتعلق بذلك السبي. وقد أُخذ حزقيال نفسه إلى السبي عام 597 ق م عندما احتلّت جيوش نبوخذنصر أورشليم، وسِيق مع كثيرين من خيرة شباب إسرائيل إلى سهول بابل الغبراء. وهناك اشتد به ومسبيين آخرين الحنين إلى وطنهم في أورشليم. غير أن وطنهم اتسم بخيانة روحية فظيعة للرب وبانغماس عميق في عبادة الأوثان. ونتيجةً لذلك يبدو أن مجد الله وكرامته في خطر شديد.

وقد هُزم شعب الله من أمة وثنية غير تقية. وكانت الأمة المنتصرة تعتبر في الشرق الأدنى قديماً على أنها تملك الإله أو الآلهة الأقوى. ومن هنا فإن كثيرين سيشككون في مسألة سيادة الرب. وفضلاً عن ذلك، فإن الباقين في الأرض من بني إسرائيل بعد 597 أهانوا الرب بابتعادهم كثيراً عن عبادته (انظر حزقيال 8). وهكذا احتاج مجد الرب إلى تبرئة بين الموجودين في الأرض وبين المسبيين. فأعلن الرب دينونة وشيكة على إسرائيل، رغم أنه أتاح لها مزيداً من الفرص للتوبة بعد 597ق م. غير أن بني إسرائيل استمروا في ارتدادهم الأثيم مما حدا بالرب أن يتصرف على نحو حاسم من أجل مجده وكرامته. فردّت بابل، عصى تأديب الله ودينونته، رداً سريعاً على ثورة صدقيا في تموز/آب من 586، وحرقت أورشليم بالنار وسُوّيت بالأرض.

ومن هنا فإن السفر يدور حول هذا المشهد الهام سنة 586. وتتناول الأصحاحات 1–24 إثم إسرائيل ودينونتها المستحقة قبل دمار 586. وقبل الأصحاح الرابع والعشرين نجد أن أورشليم محاصرة وأن مصيرها محتوم، أما سقوط أورشليم فيؤكده الأصحاح الثالث والثلاثون. أما القسم الفاصل الموجود في الأصحاحات 25–32 (وهي ليست موضوعة حسب ترتيبها الزمني)، فقد أُدخِل من أجل تناول الأمم التي سخرت من سقوط أورشليم. ويتناول القسم الأخير من السفر الرجاء والوعد بشعب مجدَّد لله في الأرض. يقول فريمان: "كان غرض الكاتب على مدى النبوءة كلها هو أن يضع أمام المسبيين خطايا الأمة التي كانت سبباً في عقابها وأن يشجع البقية الأمينة في ما يتعلق بالرد والبركات المستقبلية."[3]

[3] Hobart E. Freeman, *An Introduction to the Old Prophets* (Chicago: Moody Press, 1988), 297.

3. أسلوب حزقيال الجوهري

يهدف أسلوب حزقيال إلى دعم مجد الرب عن طريق.

أ. تبرئة دينونة الله على شعب عهده الذين أدى شرّهم في نهاية المطاف إلى سبيهم (1–24)

مما لا شك فيه أن الأمة قد أهانت اسم الرب ومجده. غير أن بعضهم أحس بأن الله قد عاقبهم على تمردهم بشكل كامل بالأحداث التي وقعت عام 597، وهم الآن ينتظرون العودة إلى أرضهم. ولأنهم شعب الرب فقد أحسوا ببعض الأمان في اعتقادهم أنه لا يمكن أن يعاقبهم بشكل مفرط دون أن يفقد ماء وجهه أمام الوثنيين. غير أن النبي، بصفته الناطق باسم الرب، يبين عدم استحقاقهم المطلق لأي اعتبار من الله، وغايته من ذلك هو أن يخجلهم ويقودهم إلى التوبة.

ب. بإعلان الدينونة على الأمم المجاورة لإسرائيل الذين يسخرون ويبتهجون بسقوط شعب الله (25–32)

لم تكن إسرائيل وحدها هي التي لم تتعظ من تأديب الله. إذ لم يتعظ جيرانها أيضاً، حيث إنهم لم يفهموا أن الله كان يؤدب شعبه. فإذا كان يتعامل بهذه الصرامة مع شعبه، فكم بالأحرى مع الشعوب الأممية التي يجب أن تخشاه أكثر. وهم يضعون أنفسهم في خطرٍ أكبر حين يسخرون بعقاب إسرائيل ويشمتون بها .

جـ. بالتلويح بوعد بردّ مستقبلي وخدمة في الهيكل لشعب الله (33–48)

وفي ذلك الرد المستقبلي، سيظهر مجد الله جلياً لإسرائيل والشعوب الأممية أيضاً .

4. صور في سياق إعلانات الدينونة الإلهية

أ. دلالة إعلانات الدينونة الإلهية (25–32)

يلخص فرانك أوكرسون في أطروحته الممتازة حول إعلانات الدينونة الإلهية حُجَّة حزقيال فيقول:

> كان حزقيال سفر رجاء لإسرائيل يبين أن الله لم يتخلّ عن شعبه. بيّن حزقيال هذا بأن شرح سبب دينونة الله لهم بدمار أورشليم وسبي الشعب. وقد ألهمه الرجاء بأن بيّن لهم أن الله ما يزال يحفظ العهد الإبراهيمي وذلك (1) بتعامله مع الشعوب التي ازدرت بإسرائيل أو استخفت بقوتها بين الشعوب (2) وبإظهار أن الله سيحقق العهد الإبراهيمي حرفياً فيما يتعلق بالنسل وبالأرض.[4]

وتتكرر عبارة "فيعلمون أنّي أنا الرب ("حرفياً "الرب") في هذا القسم حوالي ثمانية عشر مرة. "بيّن حزقيال في الأصحاحات 25–32 دينونة الله لعمون وأدوم وموآب والفلسطينيين وصور وصيدا، لأن كل أمة من هذه الأمم ازدرت بشعب الله المختار أو لم تحترمه."[5]

يضع حزقيال إعلانات الدينونة الإلهية بكل عناية بين الأصحاحين 24 و33. ويورد في الأصحاح الرابع والعشرين نبوءة دمار المدينة والهيكل بينما المدينة تحت الحصار. وفي الأصحاح الثالث والثلاثين تصل أخبار من يهوذا تعلم المسبيين بدمار المدينة والهيكل. ولإعلانات الدينونة الإلهية وظيفة مفيدة هي تهيئة قرّاء السفر لأحداث الدمار. غير أن إعلانات الدينونة الإلهية تبيّن أن خطية إسرائيل لم تلغِ *العهد الإبراهيمي*. فقد دافع الله عن إسرائيل على الرغم من وجودهم في السبي.

كان الله قد قال في العهد الإبراهيمي إنه سيلعن لاعني إسرائيل (אָאֹר מְקַלְלֶךָּ). ويعني تعبير (קלל) "يبغض" و"يزدري" و"يعامل بقلة احترام"، و"أن لا يعامل شخصاً بالاحترام اللائق به". وكانت هذه هي تماماً نظرة تلك الأمم إلى إسرائيل في سفر حزقيال. يقول أوكرسون:

> وضع حزقيال إعلانات الدينونة بين أصحاح 24 وأصحاح 33، لأنه كان يعرف أن المسبيين سيفقدون كل رجاء حين يسمعون أخبار يهوذا. ولهذا، ولكي يُعدَّهم لتقبُّل الأصحاح الثالث والثلاثين، دون أن يبتلعهم اليأس، لجأ حزقيال إلى وضع الإعلانات الإلهية بين الأصحاحين 24 و33.[6]

---

[4] Lloyd Frank Oakerson, "The Significance of the Doom Oracles in Ezekiel 25-32 to the Argument of the Book" (Th.M.thesis Dallas Seminary, 1977), 2.

[5] المرجع السابق، 6.

[6] المرجع السابق، 45

ب. ملاحظات تاريخية عن صور

أثناء حكم داود وسليمان قامت علاقات ودية بين إسرائيل وصور (2 صموئيل 5: 11؛ 1 ملوك 5: 1؛ 7: 13؛ 19: 11؛ 1 أخبار 22: 4). غير أن هذه العلاقات الودية تدهورت كما تبيّن الأحداث التالية: (1) اتخذ آخاب ملك إسرائيل إيزابل زوجة له عام 875 ق م. "وكانت إيزابل ابنة أَثبعل، وهو كاهن سابق لعشتار، وصار في ما بعد ملك صيدا (1 ملوك 16: 31)."[7] (2) في عام 835 تحدث يوئيل عن نبوءة تتضمن دينونة على صور (يوئيل 3: 4).[8]

وكان التعاون قد توقف بين إسرائيل وصور. وأصبحت صور مركزاً لبيع العبيد اليهود"[9]؛ (3) اشتركت صور في التمرد على أداة تنفيذ دينونة الله. "ومع اقتراب زمن سبي إسرائيل ودمار أورشليم، حثّ إرميا صور على الخضوع لبابل لأن الرب جعل نبوخذنصّر حاكماً على كل الشعوب (إرميا 27: 3، 6، 8)."[10]

كانت صور في عصر نبوخذنصّر المركز التجاري في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وقد سعت صور إلى إقامة حلف مع صدقيّا ضد نبوخذنصّر عام 593 يتّسم بالعداء للثيوقراطية أو الحكم الديني. كانت مشيئة الله أن يستولي نبوخذنصّر على أورشليم، لأنه كان لا بد أن يدان شعب الله وأن يجازوا على إثمهم. وكانت شماتة صور بإسرائيل في سقوطها (مثلاً 26: 2) هي التي ضمِنت دينونة الله لها. وقد تمّت هذه الدينونة على ثلاث مراحل: (1) تحطُّم الأسوار والأبراج في الجزء الرئيسي للمدينة أثناء السنوات الثلاث عشرة من حصار نبوخذنصّر لها (انظر Josephus, *Antiquities* 19.14.2)، (2) وتدمير الاسكندر الأكبر حتى للمدينة الموجودة في الجزيرة (انظر Josephus, *Antiquities*, 11.8.3.4)، (3) والدمار التام والنهائي عام 1290 م. ويتضح لنا من مرقس 3: 8 وأعمال 21: 3–6 أنه أُعيد بناء صور، لكن قام المسلمون أثناء الحملات الصليبية بإعادة الاستيلاء عليها ودمّروها بشكل كامل فأصبحت منذ ذلك الحين مكاناً يجفّف فيه الصيادون شباكهم.[11]

---

[7] John C. Beack, Jr., "The Fall of Tyre According to Ezekiel's Prophecy" (Th.M.thesis Dallas Seminary, 1971), 7.

[8] إن إرجاع سفر يوئيل إلى عام 835 ق م أمر مختلف عليه. ويمكن الدفاع عن إرجاع تاريخه إلى زمن يقارب فترة السبي البابلي.

[9] Beck, 7-8.

[10] المرجع السابق، 8.

[11] المرجع السابق، 38.

الأسلوب الأدبي المتضمن لحزقيال 26–28

يهدف الأسلوب الأدبي المتّبع في هذه الأصحاحات إلى إعلان الدينونة على صور والتنبؤ بدمارها بسبب مواقفها المتبجحة المتغطرسة!

		الدورة الثالثة **مواجهة القيادة التي تقف وراء صور**
	الدورة الثانية	
الدورة الأولى		
	قائد صور	**ملك صور**

التنبؤ بدمار صور **موقف المكسب الذاتي** "من أجل أن صور قالت على أورشليم" استجابة الله "هأنذا عليك" السواحل تُذهل/مرثاة	**موقف كبرياء وانتفاخ** **"أنا كاملة الجمال"** أساس تعظّم صور ثرواتها وربحها الفاحش من التجارة مرثاة – الجميع مروَّعون مما حدث لها	موقف تعظيم الذات – "أنا إله" إثمه– "جعلت قلبك كقلب الآلهة"	الرثاء – فساد دولة مرتفعة ذات امتيازات الجميع مروَّعون لما حدث لها
الأصحاح 26	**الأصحاح 27**	**الأصحاح 28**	

الوحدة الأدبية!	"أصيّرك أهوالاً، ولا تكونين" (26: 21)	"فتكونين أهوالاً ولا تكونين بعد" (27: 36)	"وتكون أهوالاً ولا توجد بعد" (28: 19)

توجد حركة عبر هذه الوحدة في اتجاه إيحاء أكبر بالإثم. فمع تكشّف كل دورة، نجد تحديداً لجذر المشكلة والإثم المتضمّنين إلى أن يفتضح قادة المدينة وتستنكر مواقفهم.

5. دراسة السمات المميزة

كثيراً ما يميز القادة المشاركين في سقوط صور في الأصحاح 28. ففي الآيات 1–10 يخاطَب القائد أو الرئيس (נָגִיד)، بينما يخاطب الملك (מֶלֶךְ) في الآيات 11–19. لهذا السبب، ولأن الملك يُعطي أوصافاً خارقةً، فإن كثيرين يرون في هذه الآيات إشارة إلى الشيطان. فلندرس الآن بعض السمات الواردة في 28: 11–19.

أ. تغيير الألقاب

إن الكلمة العبرية المترجمة إلى "رئيس" هي (נָגִיד) وجذر الفعل منها هو (נגד). وحين تستخدم هذه الكلمة كاسم ذات، فإنه يعني "ما هو واضح أو في المقدمّة." ويمكن استخدام هذا اللقب ليدل على ملك قومي كداود (1 صموئيل 25: 30)، والمسيّا (دانيال 9: 25)، وحتى ضدّ المسيح (9: 26).

ب. خاتم الكمال

هذا التعبير مشتق من الكلمة (תָּכְנִית) التي تعني "القياس" أو "النسبة". ويقترح قاموس BDB معنى "مُظهِراً تناسباً كاملاً."

جـ. في عدن

يبدو أن الإشارة إلى عدن (עֵדֶן) هي إلى الفردوس الحرفي المذكور في رواية سفر التكوين (لكن لنلاحظ حزقيال 31: 3-9، 16، 18). [ملاحظة، يمكن أن يتجاوز هذا الوصف الفردوس التاريخي متطلّعاً إلى عدن سماوية، كما هو حال خيمة الاجتماع– انظر رؤيا 2: 7؛ 22: 2].

د. المظلّل (الآية 13) מְסֹכָה

هذا هو المكان الوحيد الذي ترد فيه هذه الكلمة. وهي مشتقة من الكلمة "סָכַךְ"، التي تعني "يظلّل"، أو "يستر بالظل". وكانت هذه الكلمة تستخدم لستائر خيمة الاجتماع التي تحمي مسكن الله. وتقول لنا حزقيال 10: 9 إن "منظر البكرات كشبه حجر الزّبرجد (حجر ترشيش)"، وهذا يوحي بأنه ربما كانت للكروبيم طبيعة متعلقة بالتظليل.

هـ. الكروب الممسوح (מְמְשַׁח כְּרוּב)

ربما تكون هذه أكثر السمات أهمية. فالكتاب المقدس يتحدث عن الكروبيم ككائنات ملائكية قريبة جداً من الله (لاحظ موقع تمثالي الكروبيم في قدس الأقداس). كما تلعب الكروبيم دوراً رئيسياً في نبوءة حزقيال، بصفتها الكائنات الحية المذكورة في الأصحاح الأول (انظر 10: 15). ويتفق المفسرون على أن الكروبيم أسمى طبقات الملائكة. وهنالك صعوبة في ترجمة الآية، خاصة في كيفية ترجمتنا لـ (את) التي ترد قبل اللقب. وهي في الكتاب المقدس العبري "أنت الكروب . . . ." (אַתְּ־כְּרוּב). لكن يمكن أن تكون هذه الكلمة مُحرَّفة كما يلي אֶת، فتُترجم "كنتَ مع الكروب". (تتفق ترجمة RSV مع هذا المعنى).

وتفهمها الترجمتان السريانية والسبعينية (μετὰ τοῦ χεροὺβ) على هذا النحو. غير أن هذه الصعوبات تُحَلّ في الآية 16 حيث يوضع المبتدأ في السياق كبدلٍ من الكروب (لاحظ اللاحقة (ךָ) المضافة إلى (וַאֲבַדְךָ). وهكذا يساوي حزقيال بين الاثنين، ويكون "الملك" هو *الكروب*. ويحمل تعبير "ممسوح" (מְמְשַׁח) فكرة التكريس لخدمة معينة.

و. جبل الله المقدس (الآية 14)

جبل الله المقدس عبارة كثيرة الاستعمال في العهد القديم للإشارة إلى صهيون الذي يخرج منه حكم الله (دانيال 9: 16؛ مزمور 2: 6؛ مزمور 48: 1). ويبدو أن للمدينة التي ينطلق منها حكم الله نظيراً موازياً تجاوز المعنى الحرفي. ففي إشعياء 65: 17، وبعد الإعلان عن أن الرب سيخلق سماء جديدة وأرضاً جديدة، يضيف إشعياء: "لا يؤذون ولا يُهلِكون في جبل قدسي" (65: 25). وتأتي إشعياء 57: 13 في هذا السياق الأخروي أيضاً: "أمّا المتوكّل عليّ فيملك الأرض ويرث جبل قُدْسي." وفضلاً عن ذلك، فإن لدينا إعلان عبرانيين 12: 22: "بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة . . . ." وسيلعب جبل الله المقدس، أو مدينته في العهد القديم (مزمور 48: 1)، دوراً في كل من الحكم الألفي والأبدية. ويمكن أن يوحي استخدام التعبير في مواضع أخرى بأن المقصود يتجاوز مدينة أرضية.

ز. كامل في طرقك (תָּמִים)

على الرغم من أن هذا التعبير غالباً ما يستخدم للإشارة إلى البشر (الأبرار – أمثال 11: 20؛ مزمور 119: 1)، إلا أنه يستخدم أيضاً للإشارة إلى الذبائح الحيوانية التي "بلا عيب" (خروج 12: 5). وهكذا يمكن أن يحمل المعنى فكرة الخلو من النقائص والعيوب. وفي أي من الحالتين، فإنه لا ينطبق على ملك صور الفعلي.

حـ. خُلاصة

قدم بعض المفسرين عدداً من التفاسير المختلفة من أجل تفسير وجود هذه الأوصاف غير العادية. لكن يبدو أن كل هذه التفاسير ترى توازياً مع شخصية أخرى غير ملك صور الفعلي (مثلاً يقول إيخرودت: "يبدو أن هذه الأوصاف تستغل وجود أسطورة تتحدث عن الإنسان الأول وكيف أنه سكن على جبل الله، من أجل إظهار كل إثم ملك صور"[12]). لا تشير السمات المميزة المذكورة سابقاً إلى إبليس بشكل قصري، لكن من المؤكد أنها كلها تسمح بإشارة إلى إبليس. إذ من الممكن جداً أن تشير "عدن" و "جبلي المقدس" إلى حقائق أبعد في الكتاب المقدس. ومن شأن هذا أن يوحي بأنه يمكن بالفعل أن تحمل هذه الفقرة إشارة إلى إبليس.

ويبدو على الأقل أن فكرة "جبلي المقدس" تلغي فكرة إنسان أول أسطوري أو فكرة إنسان أول كآدم. كما أن فكرة "أنت كاملٌ في طريقك من يوم خُلقت حتى. . ." لا تناسب شخصية ملك صور. غير أن العامل الأهم هو مسألة "الكروب الممسوح"، وهي تدفعنا إلى دراسة أكثر جدية لمسألة النوايا الحقيقية لكاتب الإعلان الإلهي.

7. أسس تفسيرية لفهم الفقرة كإشارة إلى إبليس

أ. توظيف أدب النماذج

يقول د. جونسون في حديثه عن سمة إمكانية المشاركة في اللغة البشرية إن الخبرة والفكر البشريين ينتميان إلى نوعٍ أو نموذج مشترك وشائع. وفضلاً عن ذلك، فإن فكرة إمكانية المشاركة هذه تتضمَّن "توقُّع عدة أنواع أساسية من الخبرات والأفكار المشتركة التي يشكل الأفراد أمثلة وتحسينات لها."[13] وكما يقول رايكن: "إن الطراز الأولي أو النموذج الأصلي هو بمثابة رمز، أو طراز من النماذج الشخصية، أو حبكة لفكرة تكرّرتْ في الأدب."[14]

[12] Walter Eichrodt, *Ezekiel* (Philadelphia: The Westminster Press, 1970), 392.

[13] Elliott E Johnson, "Prophetic Genre: Purpose and Content of Prophecy" (Class lecture notes, Dallas Seminary, Spring 1980).

[14] Leland Ryken, The Literature of the Bible, 22.

وتشكل القصة اللاهوتية الفريدة للبركة والمأساة والدينونة والفداء لَبِنات بناء للفكرة الرئيسية السامية في كلمة الله. وتشكّل الرموز والنبوءات أدوات تساعد على التوسع في هذه المواضيع وعلى تبنّي فكرة أن إرادة الله يجب أن تعمل دون كابح لها. ويتحدى "الشرير" منذ بداية الإعلان الإلهي المسجل حق الله في الحكم. وهذا الطراز الأولي أو النموذج الأصلي لمحاولة كبح حكم الله وحتى اغتصاب هذا الحكم أمر أساسي وجوهري لوحدة الكتاب المقدس. إذ تتضمن كلمات الدينونة في تكوين 3: 13-19 هذا "الشرير" الذي يحارب حكم الله. "ويفرض إبليس في ممارسته المخادعة لقوته ما هو صواب من أجل تحطيم الناس والمجتمع."[15]

كما أن هنالك مسألة خطيرة على المحك، ألا وهي عبودية البشر للخطية، ولهذا فإن الدينونات الأخرى المذكورة في الكتاب المقدس هي بمثابة تحذيرات للناس. وتستمر العداوة بين الشرير ونسل المرأة على شكل صراع، مع ملاحظة أن الشرير واقع تحت الدينونة ومع وعد بهلاكه في نهاية المطاف. وفي ما يتعلق بالشعوب الأممية يبدي د. جونسون الملاحظة التالية:

"مع أن الله اختار أمة واحدة، إلا أن الشعوب الأخرى أصبحت ميدان الصراع الفريد للشرير (رؤيا 20: 8). وتخدعهم أهواؤه وتقودهم إلى تحقيق غاياته الشريرة الهدّامة. وهم بهذا يشتركون في إثمه ويجعلون من أنفسهم موضوعاً لدينونة الله."[16]

ب. خصائص مباشرة للنموذج الأصلي

1. تشهد عدة خصائص مميزة في هذا السياق نمط النموذج الأصلي الذي يقدَّم لنا فيه إبليس. أولاً، هناك نوع من المرونة يُقدّم فيها ملك صوره. يقول إنجرودت:

لا يكشف التوبيخ الموجّه إليه أية تفاصيل شخصية من طبيعته الأخلاقية أو السياسة التي يتبعها، لكنه يُصاغ بتعابير عامة جداً يمكن أن تنطبق على أي ملك من ملوك صور. فالملَكية في حد ذاتها هي التي تحاكَم ويُحكم عليها في شخص ممثّلها.[17]

[15] Elliott E Johnson, "Prophetic Genre: Purpose and Content of Prophecy" (Class lecture notes, Dallas Seminary, Spring 1980).

[16] Johnson, "Prophetic Genre: Temporal Judgment" (Class lecture notes, Dallas Seminary, Spring 1980)

[17] Eichrodt, 390.

يمكننا القول إن النص هنا يتعامل مع روح صور أكثر ممّا يتعامل مع ملك معين من ملوكها. وفي حقيقة الأمر، فإن ملك صور في ذلك الوقت، أَتبعل الثالث (591/90–573/72)، غير مذكور بالاسم.[18] وهكذا فإنه ليس من قبيل المبالغة أو شطحات الخيال القول بأن الشخصية النهائية التي تقف وراء روح صور المعادية للحكم الديني يجب أن تكون مشمولةً بهذا الوصف مع كل الآخرين الذين يشتركون في إثم صور وإدانتها. ويمكننا في واقع الأمر أن نتوقع هذا من الطبيعة الدورية للأصحاحات 26–28 التي تطوّر بشكلٍ تدريجي تضميناً أكبر بإثم قادة صور.

2. من الواضح أيضاً أن هنالك روح عداء في صور للحكم الإلهي. وكانت أوّل تهمة موجهة لصور هي فرحها الشديد الفاضح لسقوط أورشليم: "أمتلئ إذ خربتْ" (26: 2). كانت صور مسؤولة جزئياً عن سقوط أورشليم حيث إنها دخلت في حلف مع إسرائيل للتمرد على نبوخذنصّر، أداة دينونة الله (إرميا 27: 1–8). وهاهي الآن صور تبتهج لسقوط أورشليم لما سيجلبه هذا عليها من غنى ذاتي بعد إزالة منافستها التجارية. وهذه صفة تنسجم مع مقاومة إبليس لشعب الله (تكوين 3: 15؛ 1 أخبار 21: 1؛ رؤيا 12: 4، 7، 13، 17)، وتتفق مع وعد الله في تكوين 12: 3 بأن يلعن أولئك الذين يظهرون نظرة انتقاصٍ وازدراءٍ إلى شعب الله المختار.

3. إن فكرة التجارة، وهي أمر اشتهرت به صور، خاصية من خواص إبليس. فكما اجتذبت صور بلداناً أخرى كثيرة للاشتراك معها من أجل توسيع مصالحها وتعزيزها، فقد جذب إبليس إليه ملائكة آخرين كثيرين ليشتركوا معه في تمرده من أجل تعزيز مصلحته الأنانية في اغتصاب عرش الله. وتستمر هذه الشخصية عبر الكتاب المقدس وتمثَّل بصورة مصغرة في بابل الأخروية في رؤيا18، المشهورة بتجارتها وتعاملها مع الوحش: "لأنه من خمر غضب (جموح) زِناها قد شرب جميع الأمم، وملوك الأرض زنوا معها، وتجّار الأرض استغنوا من وفرة نعيمها" (رؤيا 18: 3). قارن أيضاً حزقيال 27: 29–32 مع رؤيا 18: 17–19.

[18] Charles H. Dyer, "Ezekiel," in *The Bible Knowledge Commentary (OT)*, 1282. The king's name is also spelled "Ittobalos" in some sources.

وبالفعل فإن هذا "الشرير" هو "المدعو إبليس والشيطان الذي يضلّ العالم كله" (رؤيا 12: 9). تجارة ملك صور المربحة جلبت إليه ثروة عظيمة (بما في ذلك الذهب والفضة). لكنها لم تؤدِّ إلا إلى زيادة انتفاخ كبريائه.

4. من بين كل سمات صور وقادتها فإن افتخارها باغتصاب مكان الله هو أكثر أمر يستحق الإدانة (28: 2، 6، 9). " عندما ادعى ملك صور أنه الله، أظهر نفس الروح التي أظهرها ذاك الذي وعد آدم وحوّاء بأنهما يمكن أن يصيرا مثل الله (تكوين 3: 5)."[19] وكم ينطبق هذا على طبيعة إبليس الذي يحاول أن ينشر هذا الأمل الكاذب (دانيال 7: 8؛ 8: 9؛ متّى 24: 15؛ 2 تسالونيكي 2: 3–4؛ رؤيا 13: 6)!

5. كانت الشخصية المذكورة في حزقيال 28 كاملة، أي بلا لوم، في كل طرقها حتى وُجد فيها إثم. وينسجم هذا تماماً مع التحذير الموجود في اتيموثاوس 3: 6 من السقوط "في دينونة إبليس"، أي الإدانة التي جلبها إبليس على نفسه.

6. ليست مسؤولية إبليس عن التلاعب بالشعوب أمراً معقولاً في حالة صور فحسب، فهي تطفو إلى السطح على نحو متكرر في الكتاب المقدس. ولوقا 4: 6 مثال جيد: "لك أعطي هذا السلطان كلّه ومجدهن، لأنه إليّ قد دُفع، وأنا أعطيه لمن أريد" (قارن مع دانيال 10: 13؛ رؤيا 13: 2،7).

7. إن الأسلوب الذي قُدّم به إبليس كملك صور خاصية أخرى من خواص النموذج الأول. ففي التجربة في جنة عدن في الأصحاح الثالث من سفر التكوين، لا يشار إلى إبليس صراحة أبداً، بل يشار إليه تحت غطاء حية يعرّفُها الكتاب المقدس في ما بعد على أنها إبليس (رؤيا 12: 9). وتوبيخ المسيح لبطرس في متّى 16: 23 توضيح جيّد لحالة يخاطَب فيها فرد، لكن مع وجود إبليس في فكر المتكلم وقصده من الكلام: "اذهب عني يا شيطان." فهنا يشترك بطرس في إرادة الشيطان ويعكسها بطريقة تماثل إلى حد كبير ما يفعله ملك صور.

[19] Charles Feinberg, *The Prophecy of Ezekiel* (Chicago: Moody Press, 1969), 159

8- حل المشكلة التفسيرية

مع أن حزقيال 28: 11 وما بعدها تصف إبليس، إلا أن هنالك صلة لهذا الوصف بشخصية ملكٍ تاريخية. فقد كان ملك صور يقلّد عمل الشيطان ونشاطه بطرق كثيرة، وكان يشترك في حلبة الصراع الفريدة التابعة للشرير. وقد تمثلت روح الشعوب المعادية للحكم الإلهي (حزقيال 25-32) بصورة مصغرة في صور وملكها. إذ يعكس ملك صور روح إبليس الشريرة، وبالفعل فإن إبليس نفسه هو الذي كان وراء "حاكم" صور البشري. وبالتالي فإن سقوط هذا الملك تعبير عن شكل النموذج الأول للدينونة التي يشارك إبليس نفسه فيها. وهكذا حين يتهم حزقيال ملك صور، فإنه يلبسه ثياب "الشرير" نفسه لكي ينبّه القارئ إلى التصرّفات الحقيرة جداً التي كان ينفذها ملك صور، وإلى المواقف الدنيئة التي كان يتبنّاها. ويخلُص داير إلى القول:

> "تحدث النبي عن حكم الله على "رئيس" صور بسبب كبريائه (حزقيال 28: 1-10) متحسراً على "ملك" صور الشيطاني هذا الذي حُكم عليه أيضاً بسبب كبريائه (الآيات 11-19). كانت صور مدفوعة بنفس الخطية التي تحرّك الشيطان، ولهذا فإنها ستعاني نفس المصير."[20]

درس لحياتنا

تأتي كلمات الله إلى "ملك صور" كتوبيخ لاذع: "قد ارتفع قلبك لبهجتك (بسبب جمالك)." ويشير هذا بطبيعة الحال إلى قلب نفخته الكبرياء. ولا شك أن في هذا درساً لنا جميعاً. فإن لم نكن حذرين، فإنه يمكن أن نُفتن بأنفسنا فلا نعود نذكر من أين يأتي "جمالُنا". فأيّ شيءٍ لدينا هو من عند الرب الذي أعطانا إياه بنعمته. ولا يجب علينا أن نركّز على جمالنا، بل على الله المعطي. قد يعطينا الله ذهناً ثاقباً، لكن لا يجب أن نسمح لهذا بأن يملأنا بالكبرياء. وقد يعطينا صوت خطيب عظيماً، لكن لا يجب أن ننتفخ بسبب هذا. وقد يرفعنا إلى مركز عالٍ في الخدمة، لكن يجب أن نتذكر أن "الرب يسوع" كان متواضعاً جداً. فالتواضع فضيلة يجب أن يتحلّى بها كل قائد مؤمن بالمسيح! فلنحذر من الأفكار التي يحرّبنا بها إبليس لكي يشغلنا بالتفكير بأنفسنا وبمدى عظمتنا!

[20] Charles Dyer, "Ezekiel," The Bible Knowledge Commentary (OT), 1283